

واقع السياحة والتراث السياحة في القدس المحتلة

وزارة السياحة والآثار

فلسطين

القدس كما ذكرها الجغرافي المقدسي في القرن التاسع الميلادي حيث قال:

"مناخها كمناخ الجنة... بناياتها من الحجر ولا يوجد أجمل ولا أمتن منها، لا يوجد أطيب من أهلها ولا أشهى من مأكولاتها. أسواقها نظيفة ومسجدها من أكبر المساجد ولا يوجد مكان يحوي من الأماكن المقدسة أكثر منها.. عنيها كثير... فيها جميع أنواع العلماء... ولا تخلو شوارعها من الغرياء على مدار العام. القدس فريدة من نوعها بين المدن تجمع ما بين محاسن هذا العالم والعالم الآخر..".

تشكل السياحة المورد الاقتصادي الرئيسي في القدس، وتشكل ما نسبته ٤٠% من اقتصادها، في الوقت الذي يتجاوز فيه اسهام السياحة في الدخل القومي ٤%. وتتمتع القدس بمقومات كبيرة للسياحة فهي مركز الحضارات ومهد الديانات، هذا الى جانب تاريخها الغني الممتد من العصر البرونزي القديم وحتى الوقت الحاضر، وتمتاز أيضا بتنوعها الثقافي والديني. ورغم صغر مساحتها فهي تكتسب طابعا عالميا. وتظهر القدس في الخرائط القديمة كمركز للكون.

تدار السياحة في القدس عموما من قبل القطاع الخاص الفلسطيني الذي تقع عليه أعباء كبرى، نظرا لسيطرة الاحتلال الاسرائيلي على مقدرات القطاع العام. وتلعب وزارة السياحة والآثار الفلسطينية منذ سنة ١٩٩٤ دورا غير مباشر في تنمية السياحة في القدس، ما زال دون المستوى المطلوب. وتتطور في الآونة الاخيرة بشكل مضطرب السياحة القائمة على مشاركة المجتمع المحلي واشكال السياحة الثقافية الى جانب السياحة التقليدية التاريخية والدينية.

وتقوم وزارة السياحة والآثار بدور غير مباشر في ادارة قطاع السياحة وضمان الجودة من خلال عدد من الادارات السياحية كالترخيص والتسويق، الى جانب ادارة التراث الثقافي التي تعنى بالحفاظ على التراث الثقافي وتأهيلة سياحيا، والذي تطلع به مؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات الوقفية.

أما القطاع السياحي الخاص في القدس فمنظم عموما في عدد من القطاعات، أو نقابة كل واحد منها منظم مهنيا بجمعية أو اتحاد، وقبل تأسيس وزارة السياحة والآثار عام ١٩٩٤، كان العمل السياحي في القدس منظما من قبل مجلس السياحة الاعلى ومقره في مدينة القدس. وقد شكل هذا الجسم ذراعا اداريا عرف بالخدمات الادارية للجمعيات السياحية في فلسطين، تأسس بعضها قبل الاحتلال الاسرائيلي سنة ١٩٦٧،

وتشير معطيات مركز لاحصاء الفلسطيني حول قطاع السياحة في الاراضي الفلسطينية الى وجود ما يزيد عن ٥٣٠٠ منشأة ونشاط استثماري، تتوزع على عدة فئات كالفنادق والمطاعم ومتجر بيع الهديا التذكارية ومنتجات الحرف اليدوية ومكاتب السياحة، وتقوم بتشغيل أكثر من ١٥ الف عامل. ويربو الدخل المباشر وغير المباشر نحو نصف مليار دولار.

معيقات السياحة

يعتبر استمرار الاحتلال الاسرائيلي أهم المعيقات التي تواجه نمو القطاع السياحي في القدس والاراضي الفلسطينية عموما، فهي تحول دون استغلال الموارد السياحية في القدس. ولذا فان زوال الاحتلال هو شرط اساسي لربط القطاع السياحي بتنمية اقتصادية مستدامة .

ويسيطر الاحتلال الاسرائيلي على الموارد الاساسية وخصوصا الارض، ومن مجموع المساحة الكلية للقدس والتي تقدر بحوالي ٧٤ كم ٢ فقد صادر الاحتلال حوالي ٤٠%. أما المساحة المتبقية للنمو الحيوي فلا تزيد عن ٢٠% من مساحة هذه الاراضي، بما يحول دون تنفيذ مشاريع سياحية كبيرة

يخضع قطاع السياحة الفلسطيني الى القيود القانونية والمالية للاحتلال الاسرائيلي ومن أوجه ذلك رفض منح التراخيص لانشاء أو توسعة الفنادق وعدم منح التسهيلات المالية من البنوك ثم منح الافضلية التنافسية لقطاع السياحة الاسرائيلي كالقروض طويلة الاجل والاعفاءات الضريبية .

ومنذ سنة ٢٠٠٢ عمد الاحتلال الاسرائيلي من خلال بناء الجدار الفاصل في عمق الاراضي الفلسطينية على فصل القدس عن محيطها الفلسطيني. ويشكل الجدار الفاصل المعروف بغلاف القدس عزلا مزدوجا للمدينة عن محيطها الحيوي وخصوصا مدن بيت لحم ورام الله القريبتين، كذلك يقسم اراضي القدس الى اجزاء غير مترابطة

كما الحق الاحتلال الاسرائيلي اضرارا واسعة بمواقع التراث الثقافي والطبيعي من خلال التدمير المتعمد للمواقع الاثرية والمباني التاريخية في باب المغاربة وباب الخليل وسلوان. ويواصل الاحتلال الاسرائيلي منذ سنة ١٩٦٧ ادخال تغييرات على مدينة القدس في محاولة لتغيير طابعها التاريخي العربي، وذلك من خلال أعمال التدمير والتتقيب المفرطة في المدينة.

التراث الثقافي والسياحة في القدس

تمتاز القدس بغنى تراثها الثقافي وتنوعه، والذي يعتبر مصدرا هاما للتنمية المستديمة. وتتمتع القدس بعوامل جذب تاريخية ودينية كبيرة ومستوى جيد من الخدمات والاحتراف، وذلك بالرغم من التحديات التي يواجهها قطاع

السياحة نتيجة ممارسات الاحتلال وظروف الحصار والاعلاق ثم عمليات التدمير المتعمد لمواقع التراث الثقافي والاضرار التي لحقت بالمنشآت السياحية الفلسطينية منذ احتلال المدينة. يتشكل تراث القدس من المواقع الاثرية والتاريخية والدينية والمشهد الثقافي للمدينة. وتشير قاعدة البيانات الفلسطينية الى وجود حوالي ٧٤٢ موقعا، بما في ذلك ٦٠ موقعا أثريا رئيسيا وحوالي ٦٨٢ معلما تراثيا كالقبور والكهوف والقنوت وبرك المياه والمنشآت الصناعية، اضافة الى ما يربو عن ٣٧٠٠ مبنى تاريخيا

كما يعتبر التراث الثقافي غير المادي للقدس أحد المكونات الرئيسة للتراث الثقافي في القدس، وموردا مهما لتطوير الجذب السياحي ، وتشمل الثقافة الحية والتقاليد والاعياد والاحتفالات الموسمية ومظاهر التراث الحي. وتضم أيضا المرويات والثقافة الشفوية.

يعتبر التراث الثقافي أحد ساحات الصراع الكبرى في المدينة، حيث تبذل سلطات الاحتلال جهودا متواصلة لانتاج رواية تاريخية احادية جديدة تخدم مشروعها الاستيطاني في المدينة، تقوم على نفي التعددية والحقائق الموضوعية المتصلة بالوجود التاريخي الفلسطيني في هذه المدينة. وقد جرى توظيف مباشر لعلم الآثار في انتاج الرواية الصهيونية المختلفة حول تاريخ القدس. وتسهم المؤسسة الاثرية الرسمية وهي سلطة الآثار والمؤسسات الاكاديمية الاسرائيلية والجمعيات الاستيطانية في انتاج هذه الرواية وتكريسها والترويج لها. وتقدم للسائح المحلي والاجنبي من خلال شبكة واسعة من المؤسسات والمكاتب السياحية.

التنقيبات الاثرية والرواية الاسرائيلية

قامت السلطات الاسرائيلية منذ سنة ١٩٦٧، خلافا للقانون الدولي بتنفيذ مئات التنقيبات الاثرية في الاراضي الفلسطينية، وتشمل أراضي الضفة الغربية وغزة والقدس. وتشير الاحصائيات المتوفرة الى ما يزيد عن ٢٠٠ حفرة أثرية قامت بها سلطات الاحتلال في القدس ومحيطها فقط، فيما تعرف بالقدس الموسعة، والتي تضاعفت مساحتها عدة مرات نتيجة ضم الاراضي الفلسطينية لها.

ان الدوافع الرئيسية الكامنة وراء التنقيبات الاسرائيلية في الاراضي الفلسطينية هي محاولة اعادة كتابة تاريخ هذه المواقع، من خلال اختلاق صلة ما بين الماضي اليهودي المفترض والحاضر الاستيطاني الكولونيالي. وكانت هذه التنقيبات محكومة عموما بدافع رئيسي هو البحث عن التاريخ اليهودي، وهذا لا يتسنى الا من خلال تغييب الدلائل الاثرية التي تعود لفترات وثقافات أخرى ، ومحاولة اعادة كتابة تاريخ المدينة بما ينسجم مع المخططات الاستيطانية في المدينة.

القدس في الرواية السياحية الاسرائيلية

تروج مدينة القدس في الادبيات السياحية الاسرائيلية كعاصمة موحدة لدولة اسرائيل، بما في ذلك القدس الشرقية. ويضم موقع وزارة السياحة الاسرائيلية معلومات بعشرين لغة عن مدينة القدس، وتقدم القدس كمدينة في المنطقة الوسطى دونما اعتبار للخط الاخضر، وتحتل صورة حائط البراق الصورة الرئيسية وتقع خلفها قبة الصخرة.

وتقدم البلدة القديمة كحاضنة للديانات الثلاث، ويستخدم جبل الهيكل للإشارة الى قبة الصخرة. ويذكر الموقع الاماكن اليهودية المحيطة السور الغربي الانفاق الغربية ومركز دافيدسون ، وحارة اليهود بما في ذلك شارع الكاردو وقلعة داوود ، والى الجنوب يذكر الموقع مدينة داود التي نشأت فيها القدس الكنعانية والاسرائيلية القديمة. كما ويضم الموقع القدس المسيحية. وهي المدينة التي عاش فيها المسيح ومات. واريعين كنيسة وديرا وبيتا للحجاج. ولا يقدم الموقع اية معلومة تاريخية عن القدس الاسلامية. ويقدم الموقع أيضا الاحياء اليهودية بما في ذلك متحف اسرائيل ووياد فاشيم(المحرقة) والمحكمة العليا والكنيست. الى جانب تقديم القدس كمدينة للمتاحف بما في ذلك المتاحف الفلسطينية كمتحف الاثار الفلسطيني (روكفلر) والمتحف الاسلامي ومدينة التسوق والمتعة. كذلك تقديمها كمدينة اسرائيلية خالصة، دون الإشارة الى سكانها الفلسطينيين.

الحقائق التوراتية والتلمودية

وفي هذا الاطار تأتي خطة السيطرة على الارض والتاريخ وتهويد المشهد الثقافي للمدينة تقوم سلطات الاحتلال تحت شعارات التطوير السياحي للمدينة بتنفيذ مخططات الحدائق التوراتية والتلمودية، خصوصا في المناطق المحاذية لاسوار المدينة، والتي تلتف حول البلدة القديمة من الجهتين الجنوبية والشرقية وتمتد شمالا باتجاه جبل المشارف. وقد بدأ بمشروع "حديقة الملك داود" والتي تقرر انشاؤها على أنقاض حي البستان جنوب بركة سلوان، وذلك على أراضي وبيوت الفلسطينيين.

_الاستثمار السياحي في القدس

إن ازالة الاحتلال هو الشرط الاساسي للتنمية الاقتصادية المستدامة في القدس، ولكن في ظل استمرار الاحتلال لا بد من رعاية اقتصاد سياحة مقاومة في المدينة، ينطلق من تحفيز القدرات الذاتية لقطاع السياحة الفلسطيني، وتعظيم الفائدة الاقتصادية .

تمتلك القدس مقومات كبيرة للتنمية السياحية، رغم المحددات السياسية والاقتصادية التي يفرضها الاحتلال الاسرائيلي. ومواجهه المشروع الاستيطاني في المدينة، من خلال اعتبار القدس أولوية وطنية في برامج التنمية الفلسطينية للسنوات العشر القادمة. وتوفير الموارد المالية لاصلاح وتطوير القطاع السياحي والخدمات والتجاري الذي يقوم عليه اقتصاد المدينة. والاستفادة من دروس حالة الركود الاقتصادي التي ضربت المدينة ما بين سنة ٢٠٠٠-٢٠٠٤، والتي أودت بجزء من الاصول السياحية في المدينة

توصيات

لابد أن تركز السياحة في فلسطين على رؤية جديدة تفسيرية محكمة حول تاريخ المدينة، تنطلق من الادراك بان كافة التراكمات الحضارية التي جرت على أرض فلسطين هي جزء لا يتجزأ من التاريخ الحضاري الفلسطيني، تنبذ الرؤية الاحادية الاسرائيلية الهشة، وتبرز التنوع الحضاري باعتبارها مصدر ثراء تاريخي، بما في ذلك التاريخ اليهودي نفسه. وأن الحضارة الفلسطينية هي امتداد تلقائي لكافة الحضارات التي تعاقبت على أرض فلسطين، وهي الوريث الطبيعي لها، ويجب تفسيرها في اطارها التاريخي، بعيدا عن التفسيرات والهواجس الايديولوجية. بما يستدعي تدريب الادلاء السياحيين على تقديم رواية تاريخية علمية وموضوعية، ولا تتأثر بالرواية الايديولوجية الصهيونية التي استخدمت نتائج علم الآثار بشكل براغماتي لتبرير سياسة الاستيطان والتهميد. كما تنطلق ايضا من الادراك بأن الثقافة الفلسطينية هي جزء لا يتجزأ من التراث الانساني. والاستفادة السياحية من حقيقة أن القدس مدينة مسجلة على لائحة التراث العالمي تحت الخطر منذ سنة ١٩٨٢. هو جانب مغفل تماما في الاديبيات السياحية الفلسطينية.

كذلك لا بد من وضع برامج تطوير للقطاعات السياحية المختلفة، من خلال اعادة تأهيل للقطاع الفندقية، وتحديث قطاع النقل السياحي وبناء قدرة المؤسسات العاملة في مجال السياحة كمكاتب السياحة والسفر، وتطوير أداء الادلاء السياحيين، وتطوير برامج التدريب. ولا بد من ايلاء السياحة الداخلية اهتماما أكبر، خصوصا السياحة القادمة من الاراضي الفلسطينية. ليس فقط في المناسبات والاعياد الدينية، ولكن أيضا السياحة المدرسية والعائلية، وعلى وجه الخصوص السياحة القادمة من الفلسطينيين داخل الخط الاخضر فهي تمثل احتياطي سياحي دائم، وخصوصا ايام الجمعة.

هذا الى جانب الاستمرار في مشروع تأهيل البلدة القديمة، الذي تقوم عليه المؤسسات الثقافية والاهلية والوقفية، ثم تنوع المنتج السياحي وحياء الصناعات التراثية المقدسية، وتطوير مختلف أشكال السياحة الثقافية والبدلية والداخلية في القدس والتي تقوم على الفنون والتقاليد والاحتفالات والمهرجانات والمسارح الثقافية والمشهد الثقافي والتي تشكل بمجملها التراث المقدسي الفلسطيني. والتي يتعذر على سلطات الاحتلال المنافسة فيه، ثم تشجيع السياحة المجتمعية من خلال مجموعات العمل المتخصصة في مجالات العمل الحرفية والتراثية في المدينة. كذلك لا بد من توفير برامج دعم واقراض ميسرة للمستثمرين في القطاع السياحي في القدس. ان اي خطة للتنمية السياحية لا بد وأن تأخذ بعين الاعتبار أنماط الإدارة، ودور الاستثمار الخاص وتنمية الموارد البشرية ثم التوعية واستراتيجيات التسويق والترويج للقدس كمقصد سياحي فلسطيني. وذلك بهدف تنوع المنتج السياحي وتجاوز الانماط التقليدية للسياحة وتعزيز السياحة الدينية، وإطالة أمد بقاء السائح في القدس الشرقية وتوفير مواد ومنشورات وافلام تاريخية، ثم الحفاظ على التوازن ما بين متطلبات التنمية السياحية ومتطلبات التنمية الاجتماعية.